

٥ سنوات على سقوط النظام الدكتاتوري

وقفه لمراجعة حقوق المرأة العراقية

نون

بعد خمسة سنوات على سقوط عهد وصعود عهد جديد ينبئ بالديمقراطية وحقوق الانسان.. نتوقف قليلاً لتراجع ما قدمه العهد الجديد للمرأة من أجل النهوض بواقعها وتحسين وضعها، ونراجع الحقوق التي مازالت تناضل المرأة العراقية للحصول عليها.

العراق، مبينة " أن من يريد ان ينهض بواقع المرأة العراقية عليه أن يعي احتياجاتها ويضع الخطط والبرامج لايجاد الحلول الانية وعلى جميع الاصعدة الامنية والسياسية والاجتماعية".

وعبرت هناء ادور سكرتيرة جمعية الامل العراقية عن رأيها في هذا الموضوع قائلة: "إن ما تحقق للمرأة العراقية خلال هذه الفترة وان كان بالكلام فقط فهو على الاقل جعلها تشعر بانها جزء مهم في هذا المجتمع كإسم وكيونة أصبح يتردد في كل المحافل".

واضافت: "أنه باعتقادي مهم كخطوة نتمسك بها بما يعبر عن اهلية المرأة وليس فقط نتمسك به كديكور وكأنه فرض فرضاً، ونحن نتمنى ان تحقق المرأة العراقية بكفاءتها وقدراتها المعرفية والحرفية والمهنية طموحها في تواجدها في كل المجالات وباعلى مستويات صنع القرار ومازلنا نطمح ان تنتخب كرئيسة جمهورية اضافة الى وجودها في القاعدة في الفن والرياضة والعلم والاعلام".

وعن ماتحقق للمرأة العراقية تقول ادور: "للاسف هناك تراجع ومحاوله لابعاد المرأة وتهميش دورها من خلال التهديدات والعنف خصوصاً ونحن مقبلون على انتخابات مجالس المحافظات والانتخابات العامة والتعديلات الدستورية التي تستوجب حراك اجتماعي وان تكون المرأة فاعلة بصوتها ورأيها بما يخص كل التحولات".

واضافت: "أن علينا ان نبرز التضامن معها بخطوات عملية من خلال التاكيد على كينونتها لتساهم في الحياة العامة وهي مطمئنة قادرة على مواجهة اعباء الحياة وليس منحها هبة او مكارم بل تاهيل لمواجهة متطلبات الحياة". وعن بداية الحركة النسوية قالت الدكتورة بشرى العبيدي استاذة القانون: "اول انجاز لصالح المرأة العراقية منذ سنة

حقوق المرأة والفتيات العراقيات مهددة بدرجة كبيرة في المنزل والمدرسة ومكان العمل وأيضاً في المحافل السياسية، (بحسب تقرير صندوق رعاية الطفولة "يونيسيف" التابع للأمم المتحدة) الذي يذكر: "إن المرأة العراقية تعول أسرة من بين كل عشر أسر في العراق حيث يهدد العنف حريات النساء ويحد الفقر من إمكانية حصولهن على الخدمات الأساسية بما في ذلك الرعاية الصحية والتعليم.

وتترمل كل يوم عشرات العراقيات وبدأت الاسر التي تحاول التكيف دون عائل لها تشكل عبئاً على الخدمات الاجتماعية. فماذا تحقق للمرأة العراقية بعد مرور خمس سنوات؟ وهل قدمت الحركة النسوية الناشطة في العراق خلال هذه الفترة ما يدعم المرأة كي تنال حقوقها؟.

الدكتورة فوزية العطية استاذة الاجتماع في كلية الاداب وناشطة نسوية قالت: "كل ما عملناه لم يقلل من معاناة المرأة في حياتها اليومية".

واضافت: "في البداية فرحت المرأة العراقية بالشعارات التي تناهى بحقوق المرأة ومساواتها لكنها كانت مجرد شعارات بدون عمل، بل بالعكس تقهقر وضع المرأة العراقية كثيراً". موضحة: "إن العدوان على المرأة العراقية كان مكثفاً من خلال التدخل في مظهرها الخارجي وفي طريقة تفكيرها وكانت الضغوط علينا كثيرة ولم يعد اعتماد الخبرة والكفاءة في اختيار النساء لتولي المناصب السياسية او الادارية هو المقياس بل الانتماء الحزبي والطائفي".

واشارت العطية الى "أن المستوى العلمي انخفض كثيراً في الجامعات العراقية والمدارس وزادت نسبة الامية والفقر كذلك ارتفاع عدد الارامل ونحن من جانبنا نحاول ان نوجه بحوث الطلبة لتتناول قضايا المرأة ومعاناتها في



المرأة العراقية ودور المنظمات في مساعدتها قالت الدكتورة آمال كاشف الغطاء عضو الجمعية الوطنية سابقاً ورئيسة منظمة المرأة والطفل: المشاكل الأساسية التي تعاني منها المرأة العراقية هي نفس المشاكل العامة التي يعاني منها الجميع منها على سبيل المثال عملية التهجير القسري التي تناولت كل طبقات الشعب العراقي وغيرت من الوضع الديمقراطي وكان ضحيته الطفل وبيئته الدراسية وعلاقته الاجتماعية ونمط حياته.. أما المرأة فقد فقدت في هذا الأمر حقها في السكن وفي حق اختيار نمط الحياة وأصبحت تعاني من شظف العيش وعدم توفر مقومات الحياة التي اعتادت عليها.

واضافت: من جانبنا حاولنا التوصل إلى إنشاء مجلس أسناد من وجهاء حي العدل والجامعة وفي الوقت نفسه تم لقاء بين نساء من مختلف الطوائف لإعادة الروابط الاجتماعية وتبادل وجهات النظر. وقد توضح جليا أن العنف الطائفي لا ينبثق من الأفراد وهو غير كامن في نفسية الفرد العراقي وإنما جاء بدوافع سياسية معينة وأخرى لا تمت إلى مصلحة الشعب العراقي بصلة، وإنما تسخير الناس لعمل الشر وتحقيق أهداف الساسة. أننا نأمل من أبنائنا الكرام أن يكونوا بعيدين عن النزعات الطائفية التي تسيء إلى الجميع وتجعل الأجيال القادمة تنظر إلينا نظرة غضب وأستتكار لأننا لم نحقق لهم سوى الدمار. فضلاً عن ذلك نطمح أن نقدم للمرأة خدمات إنسانية تعينها على التقدم والبناء، وسبق للمؤسسة أن قدمت المساعدات لرفع كفاءة المرأة وتطوير إمكاناتها في أعمال متعددة منها الخياطة وغيرها من النشاطات، كما قدمنا المجالات للأطفال لتطوير إمكاناتهم المعرفية.

لا شك ان المرأة العراقية حصلت على حقوق لم تحصل عليها من قبل، منها المشاركة ولو بشكل أولي في عملية صنع القرار السياسي، ونسبتها في المجالس التشريعية، سواء مجلس النواب أو مجالس المحافظات تزيد عن ٢٥٪. كما أصبحت المرأة للمرة الأولى كاملة المواطنة ذلك ان لها الحق بمنح الجنسية العراقية لأولادها. كما يمنع الدستور بفقرة ١٤ التمييز بين المواطنين على أساس الجنس. الا ان كل ذلك لا يجد انعكاساته على وضع المرأة بشكل عام ما لم يجد الأمان والاستقرار طريقه الى المجتمع، وتبدأ عجلة الاقتصاد والاعمار بالدوران، فتأخذ المرأة مكانها الطبيعي في المجتمع والسياسة والحياة.

٢٠٠٣، تثبيت نسبة كوتا ٢٥٪ لتمثيل المرأة في السلطة التشريعية، ثم تاسيس منظمات المجتمع المدني، منها ماتعنى بحقوق المرأة او إنها مؤسسة لرعاية حقوق المرأة وبدات المرأة تأخذ مكانتها في المجتمع واصبح لها صوت في الدفاع عن نفسها وحقوقها وأصبحت تتبوأ مراكز مهمة وان كانت قليلة لكن اول الغيث قطرة". واستطردت بالقول: "ان الحركات النسوية سجلت وجوداً واضحاً وتأثيراً، ويشهد الجميع لها انجازاتها، لكن المسألة صارت تأخذ منحى اخر وبدا التراجع بعد الانتخابات نتيجة سوء اختيار وتغييب المرأة الكفوءة سوى عدد قليل جدا، ياترى هل كان متعمدا هذا الاختيار؟ ام ان سببه عدم كفاءة الكتل في اختيار النساء؟ باعتقادي ان السبب في تغييب المرأة الكفوءة كي لا تثبت جدارتها وتتفوق على الاخرين من الرجال".

وماذا قدمت وزارة الدولة لشؤون المرأة ومنظمات المجتمع المدني للمرأة العراقية ١٩٩٥ السيدة نرمين عثمان وزيرة الدولة لشؤون المرأة وكالة ذكرت لنا جملة انجازات قدمتها الوزارة للمرأة قائلة:

أولاً: قمنا بأنجاز مشاريع متعددة وأخرى في قيد التنفيذ وتوصلنا إلى تشخيص المعوقات وإيجاد الحلول لها.. بالرغم من فقر الميزانية المالية المخصصة لنا، مما جعلنا نلجأ إلى مساعدة الدول المانحة ومنظمات المجتمع المدني لتجاوز الأزمة.

ثانياً: قمنا بأجراء أستبيانات بمواضيع متعددة وأصدرنا كتباً بها منها إجراء أستبيان بالتعاون مع وزارة الصحة عن سرطان الثدي والكشف المبكر له.

ثالثاً: إجراء أستبيان (نوع اجتماعي) للوزارات كافة والشركات وأصدر به كتاباً أيضاً يمثل نشاط أعمالنا، وأستبياناً آخر بخصوص (العنف ضد النساء في دوائر الدولة) وهو في دور التنفيذ ويمكن اعتباره نواة في تأسيس مشاريع خدمية وقانونية.

رابعاً: للوزارة مساهمات متعددة في كل اللجان الخاصة بالمرأة والطفل والأسرة. قمنا بتقديم مشروع لمعالجة قضية الهجرة والمهجرين وآخر للبيوت الآمنة للمعنفات وهو في طور المناقشة فضلاً عن ذلك قمنا بوضع خطط مشاريع مختلفة تم رفعها إلى مجلس الوزراء للمصادقة عليها.

خامساً: هناك مشاريع تكريمية للنساء اللواتي أمضين في وظائفهن أكثر من (٣٠) عاماً وقدمن خلالها أعمالاً باهرة ومتميزة. وعن المشاكل الأساسية التي تعاني منها





نجاة

مقاولة عراقية

تعيد أعمار المناطق التي اندحر فيها الارهاب

عبد الجبار النجار

نجاة امرأة عراقية لها من الصبر والعصامية ما لا يمتلكه كثير من الرجال في أيامنا هذه. بدأت حياتها مضيفة تنتقل بين عواصم العالم على أجنحة الخطوط الجوية العراقية، ثم تحولت إلى الإعلام لتدخل عالم الصحافة وتبدأ دراستها الأكاديمية.

تزوجت من رجل كان يعمل في السلك الدبلوماسي، على حد قولها، وانجبت منه أربع بنات، تعاني الكبرى من عوق ولادي. وفي ٢٠٠٣ سقط زوجها قتيلاً في ظروف غامضة أثناء سقوط النظام في بغداد لتجد نفسها وحيدة مع أربعة أطفال في شقة لم يبق فيها السراق شيئاً سوى حيطان وباب متهاك لا يقوى على منع جناة الليل. ساعدها أحد الأشخاص على توفير مأوى لها داخل المنطقة الخضراء ومن هناك بدأت رحلتها في مجال آخر من العمل جعلها تنفذ فيما بعد مشروعاً بمليون دولار.

كي أنطلق للبحث عنهم وإعادتهم إلى قبضة يدي".

بقيت على هذا الحال فترة ليست بالقليلة تحولت بعدها إلى مجال آخر من العمل هو تنفيذ عقود التنظيف داخل وخارج المنطقة الخضراء. فبدأت مع ١٠٠ عامل عندما تقدمت للحصول على عقد تنظيف الأعظمية والدورة والفضل، هذه المناطق التي تعد الأكثر اضطراباً في بغداد. فتقول "تقدمت أنا وأربعة مقاولين آخرين بعروض من أجل التنافس للحصول على العقد، وكنت المرأة الوحيدة بينهم، الأمر الذي أثار دهشة مدير العقود "كيف لامرأة مثلي أن تتقدم لإنجاز عمل في مناطق ساخنة جداً من بغداد؟! وعندما لاحظت إصراري والأسعار التنافسية التي تقدمت بها والتي تقل كثيراً عما تقدم به الآخرون،

التحرك بسهولة والبحث عن عقود أو مناقصات صغيرة تتمكن من تنفيذها ضمن إمكانياتها المحدودة.

كان أول عقد حصلت عليه هو تجهيز كمية محدودة من أحبار الطابعات فتقول "عندما اطلعت على المناقصة توجهت في الحال إلى مركز بيع الحاسبات في وسط بغداد وبدأت جولة على معظم محلات ومكاتب البيع للإطلاع على الأسعار من أجل وضع أسعار العطاء. في جولتي هذه كنت أصطحب معي أطفالي الأربعة حيث كنت أخشى تركهم لوحدهم في البيت وكلما وقفت عند أحد المكاتب وانشغلت بالحديث مع صاحبه عن الأسعار، انفرط عقدهم وبدأوا التحرك في اتجاهات مختلفة كحصافير أطلق لها العنان في فضاء البرية. ما ألبث أن أقطع حديثي

بدأت نجاة خطواتها الأولى مع إحدى الشركات العالمية التي تتخذ من المنطقة الخضراء مقراً لها، حيث عملت في بادئ الأمر في مجال الإدارة والمحاسبة لمدة ثمانية أشهر نالت فيها إعجاب المسؤولين عنها نتيجة لسرعة تعلمها ونباهتها واتقانها للعمل بفترة قياسية. أكسبها العمل في هذه الشركة التي يتركز نشاطها على المقاولات العامة وتنفيذ المشاريع خبرة جديدة إضافة إلى مؤهلاتها وما تمتاز به من جرأة وحب للمغامرة. كل ذلك شجعها على ترك العمل وتأسيس شركة صغيرة خاصة بها ساعدها في ذلك المبلغ الذي تمكنت من جمعه والمكان الذي تقيم فيه، المنطقة الخضراء، حيث تتركز معظم الشركات والمنظمات الدولية التي تعمل في العراق، الأمر الذي شجعها على



عقود التنظيف قامت نجاة بتنفيذ أعداد كبيرة من عقود التجهيز ومشاريع إعادة تأهيل لمدارس ومباني تجاوز عددها ٤٠٠ مشروعاً. وآخر المشاريع التي قامت بتنفيذها مشروع إعادة تأهيل بناية السوق الحرة في منطقة البلديات بتكلفة مليون دولار، تضمن العقد إعادة تأثيث البناية، وهناك مشروع آخر قيد التنفيذ وهو مشروع إعادة تأهيل ساحة السباع وسط بغداد بتكلفة ٦٧٨ ألف دولار وتضمن العقد الشوارع المؤدية لها في منطقة الكفاح.

بناء الأمم يتطلب من مواطنيها بذل الغالي والنفيس، وهذا بحد ذاته لا يقتصر على الرجال بل يتطلب مشاركة الجميع وأولهم المرأة التي يبدأ دورها من البيت إلى المدرسة إلى الجامعة إلى المصنع إلى ساحات البناء.

في ذلك تقربها من أهالي المنطقة والعمل على إفهامهم وإقناعهم بأن العمل الذي تقوم به هو من أجلهم وليس من أجل أحد آخر، من أجل تنظيف منطقتهم وجعلها بيئة آمنة ونظيفة بعيدة عن الأوبئة التي تتركز في تجمعات القمامة. هذا الأمر شجع السكان المحليين على التعاون معها حتى وصل بهم الأمر إلى إخبارها عن أماكن العبوات التي تزرعها الجماعات المسلحة لإيذائها وإجبارها على ترك العمل. برغم ذلك كله نجحت نجاة في تنفيذ العقد وكسبت قلوب أهل الأعظمية وتمكنت من تنظيف المناطق الأخرى التي اندحر فيها الإرهاب كالدورة والفضل وكان لها في كل منطقة من هذه المناطق قصة مع الجماعات التي تحاول إعاقة وتأخير حملة الإعمار. بالإضافة إلى

أحال العقد عليّ لأقوم بالتنفيذ".

من هنا بدأت مرحلة جديدة في حياة نجاة العملية ساعدتها في ذلك امرأة كرست معظم وقتها في مساعدة النساء العراقيات اللواتي دخلن عالم المقاولات، هي عزة حمادي مسؤولة برنامج دعم المرأة العراقية والتي تعمل على تأهيل وتدريب النساء العراقيات من خلال برامج متعددة تتضمن ورشات عمل ومؤتمرات وندوات ومحاضرات تلقيها في مناسبات كثيرة، بالإضافة إلى اللقاءات الفردية والتشاورية مع المقاولات العراقيات اللواتي يرغبن في الدخول إلى مجال تنفيذ المشاريع. في المرحلة الأخيرة انتقلت نجاة من العمل داخل أسوار المنطقة الخضراء إلى العمل في المناطق الساخنة من بغداد التي هجرها الكثير من المقاولين لأسباب كثيرة منها التهديد بالقتل والإبتزاز من قبل الميليشيات أو عناصر القاعدة أو الجماعات المسلحة الأخرى أو اتهامهم بالخيانة لكونهم يتعاونون مع المنظمات الأمريكية الراحية لعملية الإعمار كضيق المهندسين والوكالة الأمريكية للتنمية وغيرها. استخدمت نجاة مئة عامل تنظيف في حملة تنظيف الأعظمية وتعرضت لضغوط ومضايقات كثيرة منها التهديد بالقتل من قبل الجماعات المسلحة أو تهديد العاملين معها بالتصفية، كل هذا لم يثنها أو يثبط عزيمتها من تنفيذ مهمتها وقد ساعدها



ظاهرة خطيرة باتت تنخر مجتمعنا الفقر واليتم والحاجة تبعد اطفال عن الدراسة ليعيلوا عوائلهم

من سرقة مستقبل اطفالنا؟

بناء بلدهم باعتبارهم اجيال المستقبل؟.. وهنا السؤال يطرح نفسه.. ما مصير هؤلاء الاطفال واي ظرف جعلهم يجوبون الشوارع للحصول على الرزق وما لذلك من تأثير سلبي نفسي فيهم؟.

يقول الدكتور صائب محمد اخصائي الطب النفسي: عندما يزج الطفل في عمل معين لكسب الرزق فإنه سوف يعمل في مناخ لا يتناسب مع مراحل التطور الطبيعية لقدراته العقلية والنفسية والاجتماعية، اي انه سوف يحرم من فرص التعلم وقد يتعرض الى جملة مضايقات مختلفة الاهداف.. ولودرسنا سلوكيات المنحرفين لوجدنا ان كثيرا منهم كانوا يعانون من سنوات طفولة ومراهقة صعبة كانت السبب الاساس لما وصلوا اليه من مأساة. لذلك فان للعائلة والمجتمع دور بارز في خلق انسان معافى نفسيا واجتماعيا، او بالعكس.. فيصبح الطفل ضحية الجهل الاجتماعي احيانا والفقر احيانا كثيرة.

ميادة محمد باحثة اجتماعية في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية عقبته على هذه الظاهرة بالقول: من اخطر الازمات التي تعصف بواقعنا هذه الايام، ظاهرة عمل الاطفال وتدني المستوى المعيشي للأسرة العراقية، وكلا الامرين ينعطف بصورة سلبية على مستوى السلوك الاجتماعي لاطفالنا. فنحن نعلم ان الاطفال جزء لا يتجزأ من منظومة المجتمع وهم كالورقة البيضاء، نحن من نملي عليهم نتاج ثقافتهم. وحين نشأ اطفالنا في جو ملبد بالحروب وانعدام الامن والعوز المادي وفقد الاب، كان لكل تلك المسببات

(نون)- اطفال بعمر الزهور يهيمنون على وجوههم في الشوارع.. هذا يبيع المناديل الورقية وذاك يبيع الحلويات والعلكة، وآخرون يبيعون البنزين او يعملون في مهن لاتليق بطفولتهم وسنهم الغض.. بعضهم نظيف، وآخر لاترى له وجهها ولاهنداما من تراكم الاوساخ او الدهون التي يعمل فيها، هم تحملوا مسؤولية توفير متطلبات الحياة اليومية لعوائلهم مبكرا، وتجدهم يفقدون طفولتهم لتأمين لقمة العيش.

العوائل التي تزج باطفالها الى ميادين العمل في تزايد منقطع النظير وفي مختلف المجالات والاختصاصات.. حتى بات عمل الاطفال يشكل ظاهرة يتوجب التوقف عندها، لانتشارها بشكل واسع في عموم محافظات العراق التي غابت عنها فاعلية وتأثير قانون الضمان الاجتماعي، اضافة الى ان هناك عدة معايير تقف وراء هذه الظاهرة. أسبابها بطبيعة الحال معروفة، فتدهور الوضع الامني والاقتصادي والاجتماعي في العراق، من بطالة وقلّة الموارد المادية، لاغلب العوائل التي لديها اكثر من طالب في مراحل متعددة من الدراسة، هذا عدا الجماهير الغفيرة من الارامل، التي تضخ باطفالها الصغار الى ميادين العمل لسد رمق العائلة التي قتل معيها. كل ذلك على حساب مستقبل الاطفال، وابعادهم عن ميادين العلم والتربية.

فمن يتحمل مسؤولية هؤلاء الاطفال، الذين يطفئون زهرة طفولتهم وشبابهم من اجل المعيشة والعائلة؟ أليس من المفروض ان يكونوا على مقاعد الدراسة ليساهموا



بالاحباط واشعر بألم كبير. لاني تركت المدرسة منذ ثلاث سنوات وكنت من الطلبة المتميزين، لكن لاسباب مادية وبسبب عجز والدي عن تأمين متطلبات الحياة اليومية.. عملت في هذه المهنة التي لم اتصور انني قادر على مصاعبها. لكن الحاجة الى المال بعد ان ارتفعت اسعار السلع والخدمات عدة اضعاف.. بددت امالي المستقبلية في الحصول على الشهادة.

- اما سجاد ١٢ عاما، يعمل صانعا في محل تصليح سيارات قال: انا وكثير من بعمري نعمل في هذه المهن رغم انها لا تناسب اعمارنا لكن ضغط العائلة والمشاكل التي ترافق قلة الموارد المادية جعلتنا نضطر الى تحمل كل مساوئ هذه المهنة المتمثلة في قلة الاجر الذي نتقاضاه، قياسا بالمجهود الذي نبذله، والوقت الذي نقضيه في العمل، اضافة الى المعاملة السيئة التي تفتقد الى الكثير من الانسانية على يد اصحاب العمل ومن يمتنون هذه الحرف عموما. احيانا عندما يكون صاحب العمل سيئ المزاج يتهجم علينا بالضرب لأتفه الاسباب، وعلينا ان نتحمل الضرب والاهانة لاننا بحاجة للعمل.

محمد ١٠ سنوت، يبيع السكاكر على رصيف الشارع يقول: انا اعمل منذ الصباح حتى المساء، كي يتسنى لي بيع اكبر كمية ممكنة، وذلك لاعيل عائلتي المكونة من ثلاث بنات والوالدي.. علما بان ابي قد قتل وتم تهجيرنا من منطقة الدورة، لذا يجب على الرجل، ويعني نفسه، ان يتحمل الصعاب من اجل الحفاظ على عائلته وشرفه، وحين سألتناه عن المدرسة قال "تركناها فلا وقت عندي للدراسة".

وهكذا نجد آلاف الاطفال بسبب وضعهم المعاشي المتردي اتجهوا الى العمل بعد ان تركوا مدارسهم ومستقبلهم.. وما زالت هذه الظاهرة مستمرة بسبب وضع العائلة العراقية المتردي، ونحن من جهتنا نخاطب الجهات المسؤولة ان تعط اهمية لهذا الموضوع، وتضع حلويا مناسبة لمشاكل هذه الفئة من المجتمع. وتبقى وزارة العمل والشؤون الاجتماعية تملك المزيد من الحلول لهذه المشكلة، من خلال المساهمة في رفع المستوى المعيشي للعوائل الفقيرة.. بايجاد فرص عمل جديدة او انشاء مشاريع تستقطب الايدي العاملة بالتعاون مع وزارات اخرى.. كما علينا ان نحرص جميعا من الحكومة الى مؤسسات المجتمع المدني الى فئات المجتمع كافة، لاحتواء تلك الظاهرة او الازمة التي تمثل وصمة عار في جبين كل شيء يمت الى الحياة او الانسانية او حقوق الطفل بصفة



المشهد الاخير

لطفل لا يتجاوز الست سنوات يدفع باطار سيارة في محل "بنجرجي" ويجاهد ليضعه في صندوق السيارة.

والمثل الشائع يقول ما الذي دفعك على المر..

- يقول عبد الله محمد ١٣ عاما يتيم الاب من سكنة احدى مناطق بغداد الشعبية: بدأت العمل قبل عامين بائعا متجولا امام ابواب المدارس بعد ان قتل والدي في انفجار الشورجة وكان حينها يعمل في محل لبيع الادوات المنزلية. عملت والدي بعد وفاته في الخدمة في البيوت لكن الاجر الذي تحصل عليه لم يكن يسد متطلباتنا اليومية، خصوصا بعد ارتفاع الاسعار، لذا طلبت مني والدي ان اترك المدرسة واعمل، فتوفير لقمه العيش لي ولاخوتي الصغار اهم من الدراسة، حسب قولها، الامر الذي قادني الى ترك المدرسة والبحث عن عمل.. فاتجهت الى بيع الحلوى امام باب مدرستي واجده عملا جيدا استطيع من خلاله الانفاق على عائلتي.

- سليم عبد الناصر/ ١٤ سنة يعمل (صانع) بنجرجي تعرض الى حادث فقد على اثره يده اليمنى. عن سبب ترك المدرسة والاتجاه الى هذا العمل قال: تركت المدرسة قبل ثلاث سنوات دفعتمني الى ذلك الحاجة الى المال، حين كنت ارى والدي تتألم لعدم امتلاكها قيمة الغذاء الذي تحاول توفيره لنا، فوالدي توي بعد ان اصاب بطلق ناري في المخبز الذي كان يعمل فيه، واستمرت تأثيرات الاصابة على صحته حتى فارق الحياة، الامر الذي دفعني الى العمل مع اقاربي صانعا في محل بنجرجي وترك مقاعد الدراسة. ساهمت كثيرا في مصروف البيت حتى اصبحت اعيل والدي واخوتي الصغار، وذات يوم قبل اكثر من عام انفجر علي اطار سيارة كبيرة (لوري)، لم اشعر بعدها الا وانا في المستشفى بلا يد، وبعد ان تعافيت عدت الى نفس العمل في المحل ذاته، ولكن بواجبات اقل.

حدثنا علي كريم ١٥ عاما، يعمل في احدى ورش تصليح السيارات ببغداد قائلا: حقيقة عندما اتذكر حياتي قبل العمل هنا.. اصاب

اثر كبير بتحديد شخصيتهم انعكست على سلوكهم وتصرفاتهم، مما يعرضهم لامراض متعددة منها جسدي كالتعرض لأنواع المهن الشاقة، ومنها نفسي اثر التعرض لحالات السلوك الشاذ في المجتمع، ناهيك عن الآثار الاخرى التي تولد روح الانكسار وعدم الاطمئنان والحقد على المجتمع.

لذا فان نمو ظاهرة عمل الاطفال دون السن القانوني مؤشر خطر وملفت للنظر من خلال ما يتعرضون له في أماكن لا يصدق تواجدهم فيها، كمحال تصليح السيارات او في محال تبديل الدهون او العمل في صباغة الاحذية، وكذلك حالة العبث في تلال النفايات لعلهم يجدون ظالمتهم من المواد الصالحة للبيع. انها بالتأكيد كوارث لا يمكن تجاهلها حيث انها تنبئ بجيل جديد يتربى في الشارع، فيكتسب منه آفاته وقساوته لأثبات الذات أو امتلاك ناصية المال.

مشاهد اعتدناها

رغم غرابة هذه المشاهد وقسوتها الا اننا اعتدنا رؤيتها كل يوم وفي كل مكان: المشهد الاول:

اطفال صغار يجوبون الشوارع والتقاطعات لبيع حاجات مختلفة وحيانا يؤجرون بعض التقاطعات من ناس يرضون هيمنتهم عليها، ولنتصور حجم المصاعب التي ترافق حياة هؤلاء الاطفال العراة في عز البرد، وتحت شمس الظهيرة في عز الصيف.

المشهد الثاني

لا يخلو شارع او زقاق من منظر اطفال يبحثون في القمامة لجمع اللعب المعدنية وقطع البلاستيك، وغيرها من المواد المبعثرة في الشوارع او امام المنازل او اي مكان آخر.

المشهد الثالث

اطفال النفايات، اولئك الاطفال الذين يحملون على ظهورهم أكياس مختلفة الاحجام كي يتسنى لهم حمل اكبر كمية ممكنة من الازبال والنفايات، يتسلقون تلال النفايات ويبحثون فيها من الصباح الباكر الى الليل ليجمعوا اكبر عدد ممكن من المواد الصالحة للبيع.

المشهد الرابع

اطفال صغار يدفعون عربات احمالها اكبر من احجامهم او اوزانهم حيث يهمون بنقل بضائع المتبضعين من الاسواق رغم غضاضة اجسادهم النحيلة وهم يتسابقون من اجل الفوز بالاجرة.

المشهد الخامس

منظر يدمي القلوب واولئك الصبية الذين اسودت بشرتهم من حر الشمس وقذارة المكان وهم يعملون في محال الغسل والتشحيم.